



## إبراهيم ناجر

### شاعر أحب جميع النساء

- صاحب الأطلال أحد أجمل ١٠٠ إبداع عالمي.
- غنت له أم كلثوم، الأطلال، بعد ١٠ سنوات من وفاته.
- حياة، ديفيد كوير فيلد، جعلته إنساناً وأديباً شاعراً.
- كتب أولى غزلياته في سنوات الصبا الأولى.
- أحرق ديوانه الأول احتجاجاً على قسوة نقد العقاد وطه حسين.



كان إبراهيم ناجى، طائر الشوق الذى ملأ القلوب حباً، وأعطى من فيض شعره، فما استبقى شيئاً، وجاءت أشعاره، من فم عذب المناذاة رقيق، فكانت بمثابة يد من خلال الموج مدت لغريق.

توفى إبراهيم ناجى فى ٢٤ مارس ١٩٥٣م، إلا أن قوافيه مازالت تُحرَك الوجدان الساكن، وتُعيد النبض إلى القلوب التى تجمدت فيها المشاعر.

فى العام ١٩٩٩م، بعد مرور مئة عام، على ميلاد إبراهيم ناجى، اختارت جريدة «لوموند» الفرنسية، قصيدة «الأطلال» التى أبدعها، وشدت بها أم كلثوم، كواحد من أفضل مائة عمل إبداعى فى القرن العشرين، لما أسهمت به فى تشكيل ذاكرة القرن ووجدان البشرية.

ولد ناجى فى الحادى والثلاثين من ديسمبر سنة ١٨٩٨م، فى منطقة شبرا فى القاهرة، وتعلم فى مدرسة المحلة، التى حصل منها على شهادة الابتدائية عام ١٩١٠م.

وبعد ذلك أنتقل إلى مدرسة التوفيقية الثانوية بشبرا، وقد مال فى تلك المرحلة المبكرة من حياته إلى الأدب، فقرأ شعر أحمد شوقى وحافظ إبراهيم وخليل مطران وغيرهم.

وقد لعب والده أحمد ناجى دوراً كبيراً فى حياته، وفى رسم خياله الفنى، حيث كان يقص عليه قصص الموهوبين من العلماء والأدباء، وعندما نجح إبراهيم فى الابتدائية، سأله والده عن الهدية التى يريد أن يكافئه بها، فقال: كتاب، فاشترى له والده قصة «ديفيد كوبر فيلد» للأديب الإنجليزي تشارلز ديكنز، فكانت هذه القصة بداية تكوينه الأدبى والشعرى.

يقول ناجى عن ذلك: «الحق أنى لا أدرى أحسن إلىّ القدر أم أساء، أبى كان يحبب ديكتز إلىّ ليصقل شعورى ويزرع فى الإنسانية، ويعلمنى التأمل والملاحظة، أما ديكتز فقد حبب إلىّ الأدب على الإطلاق، وأما ديفيد كوبر فيلد فقد خلق منى شاعراً».

### شاعرية مبكرة

وقد بدأ ناجى قرض الشعر منذ طفولته، ومن القصائد التى كتبها أيام الصبا، وتنم عن موهبة فى طريقها للإزدهار:

كلانا عليل فلا تجزعسى ... ودمعك تسبق أدمعى

وإن كان بين ضلوعك نار... فنار الصباية فى أضلعى

وإن كان نجم هنائك غاب ... فنجم هنائى لم يظلمى

وهكذا دخل ناجى عالم الشعر الرحب مبكراً، ويبدو أن قلبه خفق بالحب فتياً، فهيج ينابيع شعره، فأفاضت معانى وعبارات جميلة، يقول فى قصيدة نظمها فى الثالثة عشرة من عمره:

هل أنت سامعة أبنى ... يا غابة القلب الحزين

يا قبلة الحب الخفى ... وكعبة الأمل الدفين

إنى ذكرتك با كيا ... والأفق معبرا الجبين

### تلميذ الطب

أثناء دراسته بالثانوى كان ناجى بارعاً فى الرياضيات التى تتلمذ فيها على يد أحد المدرسين السوريين الذى توسم فيه أن يصبح عبقرياً فى علومها، إلا أن والده آثر أن يصبح ناجى طبيباً، فدخل مدرسة الطب، وإجتاز سنواتها بتفوق، وتخرج منها عام ١٩٢٢م، وكان عمره وقتها أربعاً وعشرين سنة.

ومن الحوادث الطريفة التى حدثت له فى أثناء دراسته للطب أن دخل يوماً ل أداء الامتحان فى المشرحة، وجيئ له برأس امرأة ماتت لتوها، وكان الأستاذ

المتحس هو العلامة الراحل الدكتور على باشا إبراهيم وكان رحمه الله، فوق مكانته كجراح ناب، أديباً وفناناً بالسليقة.

سأل الأستاذ تلميذه: هل تستطيع أن تشخص المرض الذى ماتت به هذه السيدة؟

فارتبك التلميذ، ولم يدر جواباً، فقال له الأستاذ: عيب يا ناجى، أنت شاعر، أنظر إلى وجهها وعينيها، فراح الشاعر يتأمل وجه المرأة، فإذا هو شاحب شحوباً جميلاً، ثم راح يتأمل عينيها، فإذا بهما حزن عميق، وجاذبية يحوطها سياج من أهداب أطول من الأهداب المألوفة. وقال: لقد ماتت بالسل. وأجاب الأستاذ: برافو يا ناجى، حسبى منك هذا، ونجح بتفوق.

### صخرة الملتقى

وبعد تخريجه عين فى القسم الطبى لمصلحة السكك الحديدية بمدينة سوهاج بصعيد مصر، وافتتح عيادة هناك، حيث اشتهر بأنه كان يعالج غالبية مرضاه الفقراء بالمجان، ثم نُقل إلى النيا، ومنها إلى «المنصورة» مدينة الصبا والجمال عام ١٩٢٧م، وهناك التقى الشعراء الأربعة، الذين انضموا فيما بعد إلى جماعة «أبولو» التى أسسها أحمد زكى أبو شادى وهم: على محمود طه، عبد المعطى الهمشرى، صالح جودت وإبراهيم ناجى، كان الشعراء الأربعة يلتقون فى موقع بين النيل والجزيرة الرملية، أطلقوا عليه «صخرة الملتقى».

ومن المنصورة أرسل إبراهيم ناجى إلى جريدة «السياسة» بقصيدة له بعنوان «صخرة الملتقى» فنشرتها بتاريخ ٦ أغسطس عام ١٩٢٧م، ثم نُقل إلى القاهرة ليعمل بالمستشفى التابع لوزارة الأوقاف، وعُين بعد ذلك رئيساً للقسم الطبى بوزارة الصحة، ووضعوا على مكتبه أحد جنود الحراسة، وذات يوم ذهب لزيارته ناظر مدرسته القديمة، فمنعه الجندى الواقف على الباب، فما كان منه إلا أن كتب ورقة ليسلمها الحارس إلى الحكيمباشى «ناجى» ولم يكن الجندى يعرف القراءة، وكان الناظر قد كتب فى الورقة البيت التالى:

صاد بابك يا أهل الوفا وقفا

قد عاقه عنك «نطع، واقف وقفا»

فخرج ناجى يستقبل ضيفه، وأغرق الإثنان فى الضحك.

### عيادة الشعر

وفى شبرا افتتح «ناجى» عيادته فى شارع «بن الفرات»، وكانت عيادته واحدة شعر وأنس يلتقى فيها الشعراء يتطارحون الشعر، ويتبارون فى الفكاهة العذبة، كانت عيادته بمثابة منتدى أدبى يجمع كبار الكتاب والشعراء فى عصره.

وقد جمع ناجى بين الطب والشعر فى إطار إنسانى جميل، وزاوج بينهما مزوجة فريدة، أثمرت هذه المعانى الرومانسية البليغة، وكأنما كان يتوقع أن يسأل الناس . . أطيب وشاعر؟ ويبدو أنه تحسب السؤال، فصاغ الإجابة شعراً:

والناس تسأل والهواجس جمّة

طب وشعر.. كيف يتفقان؟

الشعر مرحمة القلوب وسره

هبة السماء ومنحة الديان

والطب مرحمة الجسوم ونبيه

من ذلك الفيض العلى الشان

كان الشعر حياة ناجى ومتنفسه ودواءه، هو نافذته ومملكته، يقول عنه: «الشعر هو النافذة التى أطل منها على الأبد وما وراء الأبد، وهو الهواء الذى أتنفسه، وهو البلسم الذى داويت به جراح نفسى عندما عز الأساة». وهو القائل عن هذا المعنى شعراً:

أكتب لوجه الفن لا تعدل به

عرض الحياة ولا الحطام الفانى

واستلهم الأم الطبيعة وحدها

كم فى الطبيعة من سرى ومعانى

الشعر مملكة وأنت أميرها

ما حاجة الشعر إلى التيجان

عاش حياته حائراً بين الطب والشعر، ولم يخفق في أيهما، وإن كان الشعر قد نafs الطب فى كثير من الأحيان، كان أشبه بالعصفور فى رفته ووداعته، ودقة حجمه، كان إذا تكلم أوضحك انتفض كالعصفور، وإذا سار لا يمشى، لكن يقفز ويعدو كالعصفور.

### قلب طفل

كان قلب ناجى هو باب شعره العذب، ومعينه الذى لا ينضب، قلبه، قلب طفل وديع، نبع فى الحب، وفاض بالرحمة، انطبعت فى صفحته الحياة بصورها المختلفة، فالحب والرحمة والألم، تفيض صوراً حية فى شعره، كان ناجى أكثر الشعراء ترديدا لقلبه فى شعره حتى ليوشك أن يذكره فى كل قصائده.

تألف حياة «ناجى» الشعرية من مراحل ثلاث، بدأت المرحلة الأولى عام ١٩٣٢م عندما اشترك مع الدكتور أحمد زكى أبو شادى فى تكوين جماعة «أبوللو» وشعره فى تلك المرحلة يحتل جزءاً كبيراً من ديوانه الأول «وراء الغمام» ١٩٣٤م.

ومن أروع قصائد هذا الديوان قصيدة «العودة» ومنها هذه الأبيات:

هذه الكعبةُ كنا طائفِها ... والمصلين صباحاً ومساءً

كم سجدنا وعبدنا الحسنَ فيها ... كيف بالله رجعنا غرباءَ

دارُ أحلامى وحبى لقيتُنا ... فى جحودٍ مثلما تلقى الجديدُ

وانكرتنا وهى كانت إن رأتنا ... يضحك النورُ إلينا من بعيدُ

رفرف القلبُ بجنبي كالذبيحُ ... وأنا أهتف: يا قلب اتّيّد

فيجبُ الدمعُ والماضى الجريحُ ... لِمَ عُدْنَا؟ لَيْتَ أَنَا لَمْ نَعُدْ!  
لِمَ عُدْنَا؟ أَوْ لِمَ نَطَوِ الْغَرَامَ ... وَفَرَّغْنَا مِنْ حَنِينٍ وَالْمِ  
وَرَضِينَا بِسُكُونٍ وَسَلَامٍ ... وَانْتَهِينَا لِفِرَاغٍ كَالْعَدَمِ؟!

وأحدث ظهور ديوان «وراء الغمام» ضجة كبيرة في الأوساط الأدبية، بعد أن هاجمه العقاد وقسا عليه طه حسين، مما أثار أعصاب ناجي فاجتاحت نفسه نوبة غضب عارمة على نقاده، وعلى الشعر والفن والفكر، مما جعله يقول: وداعا أيها الشعر، وداعا أيها الفن، وداعا أيها الفكر، ثم راح يجمع ما تبقى من نسخ ديوانه من الأسواق وأحرقها.

### ملحمة الأطلال

وتبدأ المرحلة الثانية من حياة ناجي الشعرية منذ انضمامه إلى جماعة «أبو اللو» عام ١٩٣٢م، وانتهت عام ١٩٤٥م وعندما أصدر ديوانه الثاني «ليالي القاهرة» الذي يمثل قمة النضج الفني عنده، وخاصة في ملحمة الخالدة «الأطلال» التي تفيض مقطوعاتها العشر شعوراً ورقة وعذوبة وصوراً وأخيلة:

يا غراما كان منى فى دمي ... قدراً كالموت أو فى طعمه  
ما قضينا ساعة فى عرسه ... وقضينا العمر فى مآتمه  
ما انتزاعى دمعاً من عينه ... واغتصابى بسمة من فمه  
ليت شعرى أين منه مهرى ... أين يمضى هارب من دمه

\* \* \*

ذهب العمرُ هباءً فاذهبى ... لم يكن وعلك إلا شبحاً  
صفحةً قد ذهب الدهرُ بها ... أثبت الحب عليها ومحا  
انظرى ضحكى ورقصى فرحاً ... وأنا أحمل قلباً ذبحاً  
ويرانى الناسُ روحاً طائراً ... والجوى يطحننى طحن الرحى

كانت المرحلة الشعرية الثالثة لناجي مزيجاً من الظلمة والضوء والقوة

والضعف والدموع والكبرياء، وتبدأ من عام ١٩٤٥م حتى يوم رحيله فى مارس  
١٩٥٣م.

## قوة النبض

رسم الشاعر لوحات هذه المرحلة وكأنه ينحتها كالتماثيل، فجاءت لوحات  
مُجسّدة ترتعش وتتحرك معبرة عن قوة النبض وصدق الشعور، وعانى ناجى فى  
هذه المرحلة من جفاء وغدر الأصدقاء مما جعله يشعر بالغربة داخل وطنه وبين  
ناسه، يقول:

جفا الربيع لبالينا وغادرها ... وافقر الروض لا ظل ولا ماء

يا شافى الداء قد أودى بى الداء ... أما لهذا الظمأ القاتل إرواء

عذبتة غربة الروح واشقاءه تجاهل الناس وتزاحمهم على الدنيا فقال

الامس الجرح ما الذى صنعتُ

به شفاةً رحيمَةً ويَدُ

ملء ضلوعى لظى وأعجبهُ

أنى بهذا اللهب ابتردُ

يا تاركى حيث كان مجلسنا

وحيث غناك قلبى الفردُ

أرئو إلى الناس فى جموعهم

أشقتهمُ الحادثاتُ أم سعدوا

تفرقوا أم بها احتشدوا

وغوروا هابطين أم صعّدوا

أنى غريب تعالى يا سكنى

فليس لى فى زحامهم أحدُ

وكانه كان يشعر باقتراب الرحيل فراح يقول في قصيدة سماها «رواية»

نزل الستار ففيم نتنظر؟

خلت الحياةً واقفر العمر

لم يبق إلا مقفر نعس

نعوى الذئابُ به وتأمُرُ

هو مسرح وانفضَّ ملعبُهُ

لم يبقَ لا عينٌ ولا أثرُ

ورواية رُويت ومُجزها

صحبٌ مضوا وأحبَّةٌ هجروا

عبروا بها صوراً فمذ عبروا

ضحك الزمانُ وتهقه القدرُ.

### المرأة هي شعره

كرم «ناجى» حواء فى شعره أما وزوجة وأبنة وصديقة وشريكة فى بناء مجتمعه، فأعلى من شأنها وقدّر دورها بما كتب بأحلى الكلمات وأرق الأحاسيس، حتى تميزت تعبيراته عن المرأة بهذه المشاعر الراقية التى اعترفت بما لها وما عليها من مكانة. مشاعر لا تصدر إلا عن نفس سوية صافية وليست مريضة ملتوية تعتبر هذه المرأة متعة وجسداً أكثر منها إحساساً وشعوراً.

وكان فى شعره يهيم حباً بالمرأة، هيام الروح والوجد والعذاب، وليس كغيره من الشعراء الحسين الذى يكلفون بالمرأة جسداً ومتعة، لذة ونعيمًا، وإلا فما معنى أن يقول فى هذه المرأة:

كم مرة يا حبيبي والليل يغشى البرايا

أهيم وحدى وما فى الظلام شاك سوايا

## أصبر الدمع لحنا. وأحيل الشعر نايا

يشدو ويشدو حزينا مردداً شكوايا

فقد اجتذبت صورة المرأة كنموذج ومثال روحياً وتستغرقه هذه الحالة تماماً كأنه قد وقع عقداً بين قلبه وبين العذاب، حتى ينهى ما شرع فيه سواء كان تجربة إبداعية أو تجربة حقيقية.

وقد يباليغ «ناجى» فى تكثيف هذه الحالة الشعورية فيأتى فى بيت واحد بمعان قد تقصر عن بلوغها عشرات الصفحات حيث يقول:

أوليس فى ظل حبك موضع

أحبو إليه وأرتمى مستنصرا

هنا يجمع صور الحب والارتقاء واللياذ واللجوء فى ظل حب امرأة وكأنه طفل يحبو إلى أمه طالبا الارتقاء فى أحضانها واللياذ بها مستنصرا. وقد تسمو هذه الصورة فى خياله وتشف حتى فى أقسى معاناته على إثر المرور بتجربة حب فاشلة لبنت الجيران، فيراها طيفا عزيزاً رقيقاً، ويصفها بكلمات تنبض بأجمل المعانى وأرق الأحاسيس، حيث يقول:

أين من عينى حبيب ساحرٌ

فيه نبلٌ وجلاءٌ وحياءٌ

وائقُ الخطوةِ يمشى ملكاً

ظالمُ الحسنِ شهىُّ الكبرياءِ

عبقُ السحرِ كأنفاسِ الربى

ساهمُ الطرفِ كأحلامِ المساءِ

مشرقُ الطلعةِ فى منطقةِ لغةِ

النورِ وتعبيرِ السماءِ

وهكذا جاءت أشعاره عن المرأة تجمع أصالته وإنسانيته فى سلم من المشاعر يمتد  
من لوعة الحرمان إلى قناعة التصوف ومن ذلك قوله فى قصيدة «أغنية»:

انت إن تؤمنى بحب كفانى  
لا غرامى ولا جمالك فانى  
أجذب الهجرُ خاطرى وخيالى  
وأجف النوى دمسى ولسانى  
أى روح أحسه؟ أى سر  
فى جنا حيك كلما ظللانى  
أى روح أحسه؟ أى سحر  
سكبت فى هاته العينان  
لكأن الرميم ما تبعثان  
وكان النشور ما تسكبان  
وكانى محلقٌ فى سماء  
ومطلٌ منها على الأكوان  
مستمر بما منححت قويُّ  
أجمع الكونَ كلُّه فى عنانى

وشفافية روح ناجى وسمو نفسه وبراءة نظرتة إلى المرأة تتجلى حين يراها  
مخلوقاً نبيلاً حتى ولو اضطرتها الظروف إن تبدو بغير ما فطرت عليه من قبل كما  
عبر عن ذلك فى قصيدة «قلب راقصة» حيث يقول:

تمضي وتجهلُ كيف أكبرها  
إذ تختفى فى حالك الظلم

روحًا إذا أئمت يطهرها

ناران: نار الصبر والألم!

### الحب الحقيقي

وفي دنيا الحب والغرام كانت لناجى صولات وجولات، تجلت فى قصائد عديدة مع كثيرات من الفنانات المثلثات والمطربات، والكاتبات والشاعرات، فقد كتب ناجى عن أمينة رزق فى ديوانه الأول من «وراء الغمام»، وكتب ناجى عن زوزو حمدى الحكيم وزوزو ماضى وزوزو نبيل، وعن المطربة شهرزاد، والراقصة سامية جمال، وكتب عن الشاعرات منيرة توفيق وجلييلة رضا وأمانى فريد.

ولكن كانت هناك حبيبة واحدة فى حياة شاعر الحب والأطلال، وهى التى سماها، زهرة المستحيل، التى حُرِّمَ منها طيلة حياته رغم أنها كانت إحدى قريباته، وهذه الحبيبة وحدها هى التى ألهمت ناجى روايات عديدة من بينها رائعته «الأطلال».

فقد كانت هذه الحبيبة تقطن بجواره، وتمكن حبها من قلبه، وبادلته حبا بحب، وتعاهدا. على أن يجمعهما الحب إلى الأبد، ولكنه عندما التحق بمدرسة الطب لم تنتظره حتى يتم دراسته وتزوجت غيره، وظل هو على حبه العفيف الذى لا زمه طوال حياته، وكلما مرت به سانحة حب أو إعجاب بامرأة كان يتمثل فيها فتاة حبه الأول والتى تم مؤخراً كشف النقاب عن اسمها وهى «عنايات محمود الطوير». وهى التى أطلق عليها «زهرة المستحيل» وقد ناجاها فى قصيدة بعنوان «من ن إلى ع» وفى إحدى قصائد ديوانه ليالى القاهرة قال فيها:

يا شطر نفسى وغرامى الوحيدُ

ما شئت يا ليلى لاما أريد

يامن رأيت حزنى العميقَ البعيدُ

داويت جرحى بجرح جديد.

## زوجته وأم بناته

وتزوج إبراهيم ناجي زواجاً تقليدياً، حيث خطب ابنة إحدى الأسر من أقاربه مدة عامين، ولم يرها إلا يوم الزفاف فقط وكانت سيدة عظيمة وراقية، لم تكن تغار من قصائده العاطفية، وكانت تدرك أنها متزوجة من شاعر.

وقد أثمر هذا الزواج ثلاث زهرات جميلات، هن ضوحية وأميرة ومحاسن، وكان ناجي يحب البنات ويردد دائماً «أنا عمري ما زعلت إني مجاليش ولد».

## ناجى شاعر الوطنية

وإن كان إبراهيم ناجي عُرف وذاعت شهرته على أنه شاعر الحب والأطلال، وعلى الرغم من المساحة العاطفية الواسعة التي احتلت غالبية قصائده، فقد كان «ناجى» شاعراً وطنياً، أحس بوطنه وشعر بقضاياها وتغنى بمآثره.

ففى قصيدة «مصر» ينادي الجميع بالعمل من أجل مصر:

أجل إن ذا يوم لمن يفتدى مصرا

فمصر هي المحرابُ والجنَّةُ الكبرى

حلفنا نولى وجهنا شطر حبِّها

وننفدُ فيها الصبرَ والجهدَ والعمرا

ويعمى «ناجى» فى قصيدته مخاطباً شباب النيل وكأنه يخاطبهم اليوم فيقول:

سلاماً سلاماً شباب النيل فى كل موقف

على الدهر يجنى المجدَ أو يجلبُ الفخرا

تعالوا نشيدُ مصنعا رب مصنِع

يدر على صناعتنا المغنم الوفرا

تعالوا فقد حانت أمورٌ عظيمةٌ

فلا كان منا غافلٌ يصم العصرا

تعالوا نقل للصعب أهلاً فإننا  
شبابٌ الفنا الصعبَ والمطلبَ الوعرا  
شبابٌ إذا نامت عيونٌ فإننا  
بكرنا بكورَ الطيرِ نستقبل الفجر  
شبابٌ نزلنا حومةَ المجدِ كلنا  
ومن يغتدى للنصر ينتزعُ النصر  
**أطلال ناجى وأم كلثوم ورامى**

لم يكن إبراهيم ناجى قريباً من أم كلثوم مثل أحمد رامى وكان ناجى قد أرسل إليها قصيدة بعنوان (يأس على كأس) ويبدو أنها لم تعجبها.

وبعد رحيله بعشر سنوات قالت أم كلثوم لأحمد رامى أنها تريد أن تغنى الأطلال، فحولها رامى من رباعيات إلى ثلاثيات، ولكنه بعقريه جعلها وحدة واحدة، فجاءت تضم أبياتا من الأطلال وقصيدا «وداع».

والأطلال كما كتبها ناجى ٣٤٥ بيتاً، وأول سطر فى قصيدة الأطلال كان «يا فؤادى رحم الله الهوى»، فقالت أم كلثوم لا بد من تغييره، فكتبه رامى: «يا فؤادى لا تسل أين الهوى».

وقد غنت أم كلثوم أغنية أخرى لناجى بعنوان «مصر»، كما غنت له سعاد محمد أغنية «انتظار»، وغنى له محرم فؤاد، كما غنى له محمد ثروت.

### **تراث ناجى**

ترك الدكتور إبراهيم ناجى ديوانين من الشعر هما وراء الغمام، وليالى القاهرة، وبعد وفاته قام الشاعر محمد عبد الغنى حسن بتجميع قصائده الوجدانية التى ألفها بعد هذين الديوانين، وأطلق على هذه المجموعة «الطائر الجريح»، ثم جمعت بعد ذلك دواوين ناجى فى مجلد واحد.

ومن أعماله فى مجال القصة والأدب:

- ١- مدينة الأحلام
- ٢- ترجمة «الجريمة والعقاب» لديستوفيسكى
- ٣- فى فن القصة
- ٤- عالم الأسرة
- ٥- رسالة الحياة «جزءان»
- ٦- كيف نفهم الناس
- ٧- ترجمة «أزهار الشر» لبودلير
- ٨- رباعيات ناجى
- ٩- أهاذيج شكسير
- ١٠- قراءات أحببتها